بعد "حرب الشمال" وعشية "كامب ديفيد":

انعكاسات القمة الثلاثية على لبنان وكيفية التصدي الوطني للمشروع الانعزالي

هل تنتقل الحرب الى جبيل ام تكتفي بالشمال ؟ هل تنتقل الى المنطقة الغربية من بيروت ام تبقى في الشرقية ؟ هل تتدخل اسرائيل لصالح حليفها الانعزالي اذا ما « وصل التحجيم الى حد خطير » ام تكتفي باطلاق التحذيرات ؟ هل وهل ...

هذه الاسئلة وكثير غيرها تتردد الان على السن المواطنين دون ان تجد جوابا كافيا . فالوضع متداخل ودقيق ... والاحتمالات كثيرة . غير اننا سنحاول - دون ادعاء التفاصيل - ان نعرض صورة عن توقعاتنا لما سيجري في لبنان خلال الايام القليلة القادمة .

لعل في اشتباكات الشمال دافعا رئيسيا للزيارة التي قام بها وزير الخارجية والدفاع فؤاد بطرس الى دمشق . فالقضاء شبه الكامل على التواجد الحزبي « للكتائب والاحرار » في منطقة الشمال دفع بسركيس (الغطاء الرسمي « للجبهة اللبنانية ») الى طرح وساطته بهدف وقف الهجوم السوري العسكري والسياسي . لكن السوريين الذين وضعوا « فيتو » على شمعون اشترطوا على بطرس ان تقبل « الكتائب » بالشروط الثلاثة التالية :

١ - اعلان كتائبي بعروبة لبنان وقطع العلاقات « باسرائيل » .

٢ - التخلي عن مشاريع التقسيم .

٣ - نزع سلاح الميليشيات .

وطبعا رفض الانعزاليون الشروط السورية في الوقت الذي كان السوريون فيه يحكمون قبضتهم على الشمال ويصطدمون بطرف طالما حرص حليفهم الاساسي فرنجية على عدم الاصطدام به ، هذا الطرف هو بشري التي سقط منها ستة قتلى تقول بعض المصادر ان لهم علاقة بشبكة واسعة تعمل في تهريب الاسلحة الى داخل سوريا لحساب الجماعات الطائفية المتطرفة .

■ الى اين ؟

لكن ماذا بعد « تطهير » الشمال ؟ هل يكمل السوريون ؟

تقارير من مصادر مختلفة تصر على ان سوريا قد حسمت امرها بالتصدي للانعزاليين « بعدما وصل التنسيق بين هؤلاء وبين العدو الصهيوني الى ذروته » . وقد جاء اعلان التحالف بين فرنجية وكرامي وجنبلاط كخطوة تصعيد سياسي ضد « الجبهة اللبنانية » خاصة ان هذا التحالف بدأ يكسب اوساطا « مارونية » اضطرت خلال الحرب الاهلية وما تلاها ان تتعامل مع « الجبهة اللبنانية » بحكم تواجدها في مناطق سيطرتها . ثم ان هناك املا كبيرا ان يتقدم السوريون نحو بلادجبيل خاصة ان هذه المنطقة فيها العديد من القوى والمناطق التي لا تخضع لنفوذ « الجبهة اللبنانية » السياسي فهناك قرى مشهورة بعدائها للانعزاليين اضافة الى القرى الشيعية التي يفوق عدد سكانها الثلاثين الف نسمة .

وتشكل هذه المناطق محطات يستطيع اي تقدم عسكري ان يعتمد عليها . ويبقى ان لبلاد جبيل منفذ اخر من الشرق في « عيون السيمان » التي لعبت خلال الحرب الاهلية دورا هاما في ضرب الحصار على المناطق الانعزالية ، ويسيطر السوريون عليه الان .

■ احتمالات التدخل الصهيوني

هذا على الصعيد العسكري ، اما على الصعيد السياسي فان اي تقدم محتمل نحو جبيل سوف تكون له ابعاده على صعيد المنطقة ككل ، خاصة مع تزايد التهديدات الصهيونية بالتدخل . فقد ذكرت صحيفة « يديعوت احرونوت » «الاسرائيلية» ان العدو الصهيوني قد « ارسل الى الميليشيات في بيروت كميات كبيرة من المعدات العسكرية ، افرغت في ميناء جونيه ، وهي تتضمن دبابات وعربات مدرعة ومدفعية وذخيرة من جميع الانواع » وان « اسرائيل ستبذل كل ما في وسعها لمساعدة المسيحيين في بيروت وان دوائر الدفاع الاسرائيلية تواصل مشاوراتها في هذا الصدد » .

وفي الاجتماع الذي عقده « اريتس » رئيس لجنة الشؤون الخارجية والامن التابعة للكنيست مع مناحيم بيغن ابلغ الصحفيين ان « اسرائيل لن تقف مكتوفة الايدي اذا كان السكان المسيحيون سيذبحون في لبنان » ، واعرب عن « قلقه الشديد، وان علينا ان نوضح بشكل جلي للسوريين بأننا لن نسمح لهم بتحقيق اي تقدم في خطتهم » .

اما آلون فقال : « ان علينا ان نعمل بسرعة » ، وقد ترافقت هذه التصريحات مع حملة «اسرائيلية» رسمية تطالب الولايات المتحدة بابلاغ « قلق » اسرائيل الى سوريا حيال موقفها في لبنان » . كما ترافقت مع تحريض للميليشيات في الجنوب على التحرك بمختلف الاشكال ، فقد شهدت الايام القليلة الماضية تحركات اسرائيلية واسعة النطاق على طول الحدود مع لبنان وقامت الطوافات العسكرية بنقل ذخائر ومعدات عسكرية وجنود كوماندوس الى كافة المواقع الصهيونية على طول الخط المحاذي للشريط الحدودي ، وتقوم الطائرات الصهيونية يوميا بالتحليق فوق القرى الجنوبية في الوقت الذي تقصف فيه المدفعية المناطق الوطنية، وتكثف القوات الصهيونية - الانعزالية دورياتها على الحدود .

والذي يزيد من احتمال التدخل الصهيوني المباشر هو التهيئة الاعلامية التي تقوم بها «اسرائيل» والتي تحاول في اظهار ان عدم تدخلها بشكل واسع حتى الان مرتبط بانعقاد قمة كمب ديفيد ، مما يعني ان حريتها في الحركة ستكون كبيرة بمجرد انتهاء الاجتماع ، وايضا التهيئة التي يقوم بها الانعزاليون محاولين نقل الاشتباكات الى كل المناطق وتفجير الوضع بشكل يسمح للعدو الصهيوني بالتدخل بشكل واضح خاصة في الجنوب ، وحديث شمعون الذي قام بزيارة للكيان الصهيوني عن انزال مرتقب « من الشمال حتى الجنوب » .

اما الخطوات الاميركية في لبنان والتي تمثلت في سحب السفير الاميركي والملحق العسكري ومسؤول الاستخبارات ، وفي « الخدعة » الاميركية التي تحدث عنها رئيس الحكومة بالنسبة لارسال القوة العسكرية الى كوكبا ، فتعني ان الاميركيين يساهمون في توتير الاوضاع وخلق ظروف ملائمة للتدخل الصهيوني .

■ كمب ديفيد وانعكاساته على الوضع في لبنان

التهديدات الانعزالية - الصهيونية تتصاعد كلما

اقترب كمب ديفيد من الانعقاد ، وليس الاعلان عن ادراج الوضع اللبناني على ورقة اعمال القمة الثلاثية سوى دليل على ارتباط الامرين . فتفجير الوضع في لبنان وتوتير الاجواء حتى موعد انعقاد القمة يهدف الى تحقيق اهداف عديدة يلتقي حولها الصهاينة والانعزاليون . ولعل اهمها هو تمرير ما قد ينتج عن اللقاء من تنازلات جديدة تقدمها الرجعية العربية في غمرة انشغال الاطراف المعارضة في الانفجار العسكري والسياسي على الساحة اللبنانية .

ان هدف الخروج بموقف منسق بين العدو الصهيوني والرجعية العربية والامبريالية الاميركية حول مستقبل الوضع في لبنان هو الذي فرض ادراجه على جدول الاعمال . وهذا التنسيق سيصب حتما في خدمة المشروع الانعزالي الصهيوني لتمكينه من احكام سيطرته على كل لبنان . وفي هذا الاطار كانت خطوة قوات الطوارىء الدولية التي اعترفت بشكل غير مباشر « بشرعية » حداد والشدياق حين ابرمت معهما اتفاقا بعد « توسط » اسرائيل يقضي باقامة نقاط مراقبة دولية في المناطق الجنوبية التي تسيطر عليها الميليشيات ، تسمح ببقاء البوابات مع العدو الصهيوني وتشكل غطاء « دوليا » للتدخل العسكري الصهيوني .

ان « كمب ديفيد » سواء في حال « فشله » او « نجاحه » سوف يؤدي الى تفجير الوضع في لبنان، ذلك ان السادات والرجعية العربية التي تدعمه يهمها توجيه ضربة عسكرية وسياسية للمقاومة الفلسطينية والحركة الوطنية اللبنانية تشكل غطاء لتحركه وتنازلاته ، كما تشل قدرة القوى العربية المناهضة « لمبادرته » الاستسلامية عبر اشغالها في صراعات داخلية متلاحقة تصرفها عن تعبئة قواها .

ان ذلك يوضح الابعاد العربية والدولية للمعركة الدائرة في لبنان ، ويؤكد ان الساحة اللبنانية سوف تشهد تطورات هامة وخطيرة تقرر مصير الحل الاستسلامي الاميركي - الصهيوني - الرجعي، وتكون القوى الانعزالية اداة التفجير فيها بما تتلقاه من دعم « اسرائيلي » مباشر قد يصل الى حد التدخل الواسع .

فؤاد بطرس يغادر اللاذقية بعد اجتماعه بالاسد وخدام

ثم ان لقاء القمة الثلاثي سوف يشكل خطوة جديدة كبيرة على طريق محاولات انهاء التناقض العربي - الصهيوني ، مما يستدعي ضغطا كبيرا على سوريا بهدف جرها الى مسار التسوية الراهنة وهو ما بدأته الولايات المتحدة عبر التهديد بقطع مساعدة مالية بقيمة ٩٠ مليون دولار عن سوريا ، وما استكمله الانعزاليون بتفجير الاوضاع على الساحة اللبنانية .

■ كيفية التصدي الوطني

ان دلائل ومعطيات كثيرة قدمناها تشير بوضوح الى ان الجبهة الانعزالية لا زالت تعمل بصورة جدية واكثر من اي وقت ، رغم عودة الحديث والتهديد باعلان «وطن قومي حر» من اجل فرض سيطرتها عليه بكامله ، واعتمادها في هذا يقوم بالطبع على العدو الصهيوني الذي وضعت نفسها بتصرف مخططاته . والعدو الصهيوني يعرف مدى اهمية لعب الورقة الانعزالية وانشاء كيان عنصري جديد يكرس واقعه العنصري ، وهو مطمئن الى ان الانعزاليين مستعدون للسير معه حتى النهاية وهو ما اكده شمعون خلال حديثه عن اقامة علاقات « بين اقلية ضعيفة واخرى قوية » .

ثم ان الانعزاليين يستفيدون من دعم السلطة الرسمية لهم ومساندة رئيس الجمهورية لجبهتهم وخضوعه لابتزازهم حتى قيل انه « عضو في حزب الكتائب » على حد تعبير سليمان فرنجية الذي اكد انه لن يلتقيه بعد اليوم .

امام هذا الواقع ، وهذا الدور الذي لعبه ويلعبه الانعزاليون ، لا بد من تقييم الخطوات التي اتخذتها القوى الوطنية والمناوئة للمشروع الانعزالي الصهيوني بالمقابل ، وامكانية استمرارها وتطويرها .

فاللقاء الثلاثي الذي عقده فرنجية وكرامي وجنبلاط ، وحملة تطهير الشمال من التواجد الكتائبي والشمعوني ، وزيادة الضغط والحصار السياسي على الانعزاليين تشكل خطوات على طريق التصدي لهذا المشروع غير انها تظل غير كافية اذا لم تستكمل اهدافها في تحرير وتطهير مناطق السيطرة الانعزالية والقضاء على قواها العسكرية كمقدمة لاعادة بناء لبنان ديمقراطي جديد .

واذا كان الخوف من تدخل صهيوني قد يجعل الصورة قاتمة وسوداء ويقلب موازين القوى ، فاننا نعرف ان شعوبا خاضت نضالا استمر سنوات انتصرت فيه على قوى تفوقها قوة واعدادا بفارق هائل ، ولم تكن تملك ما تملكه اليوم القوى المناهضة للمشروع الانعزالي - الصهيوني .

ان حلا وحيدا وواضحا يجعل التدخل الصهيوني الامبريالي المحتمل عاجزا عن ضرب المقاومة الفلسطينية والحركة الوطنية واخضاعهما لمخططاته وجر القوى المعارضة للتسوية الى الدخول فيها وقبولها كأمر واقع ... وهذا الحل يكمن في تعبئة الجماهير اللبنانية وتسليحها وجعلها هي تقود الصراع ضد الانعزاليين لتشكل بذلك بديلا وطنيا لما تمثل « الجبهة اللبنانية » من مصالح طائفية فئوية .

ان اهمية توسيع رقعة المعارضين للفاشية وسيطرتها امر هام خاصة بعد اشتراك اطراف « مارونية » تتسع يوما بعد يوم في معارضة من يدعون تمثيلهم «للمسيحيين»

ان تحجيم النتائج التي قد تتوصل اليها قمة كمب ديفيد وانعكاساتها على الوضع اللبناني واكمال مسيرة التصدي لها ، مرتبط بقدرة القوى الوطنية اللبنانية على تعبئة جماهيرها وتسليحها وقيادتها للمعركة على الساحة اللبنانية مدعومة من كل الاطراف التي ترى في دحر المشروع الانعزالي - الصهيوني مصلحة لها .